

حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى

الشيخ الدكتور محمد ياسر القضماني

دُخِلَ عَلَى عَابِدٍ فِي مَرَضِهِ فَقَالُوا لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ وَكُلَّ عِرْقٍ يَتَأَلَّمُ عَلَى حَدَثِهِ، وَلَا يَجِبُ إِلَّا اللَّهُ.

وقفت على هذه القصة، فقلتُ هذا مما ينضاف لأخبار الأكابر من أختيار هذه الأمة الخاتمة، من أخبار العباد الذين لا أَرَبَ لهم في شهوة من هذه الشهوات التي تشغل الناس، ولا في مغنم من هذه المغنم الزائلة، ولا في حظٍّ من هذه الحظوظ التي يتعارك الناس عليها ثم يتدابرون ويتلَّفون كمدًا وحسرة أن فاتهم شيء من لذاتها!

والأخبار من الخلق لا تشغلهم إلا مرضاة الله جلَّ جلاله، ولا يَهْمُهُمْ إلا الاستعداد لتلك الدار التي تستحق أن يُتنافس عليها، ويُبذل في نيلها والأمن فيها النفس والنفيس!

الذوق مفتاح المعرفة، والمعرفة مفتاح التبجيل، والتبجيل مفتاح العطاء من الجليل! هل يمكن أن يتألم كلُّ عِرْقٍ فيك على حدثه ثم تكون مشغولاً بذكره - سبحانه وتعالى المقدر لكل شيء -؟!؟

نعم! يمكن أن يتألم كلُّ عِرْقٍ فيك على حدثه، ثم لا يكون من كلِّ عِرْقٍ إلا اللسان الذاكِر والشاكر للخالق الرازق! أعلمت متى يكون ذلك!!!؟

عندما يتحقق الإنسان أن كلَّ ذرة في كيانه من إيجاد الله تعالى، وأن كلَّ ذرة من هذه الموجودات في مُدَّة لحظة فلحظة من الموجد لها، البارئ لها.

إذا كان الله - جلَّ جلاله - هو الموجد الممِدُّ فعلام التعلق بسواه، وعلام الاشتغال بمن دونه!!!؟ إن كان إحسانٌ يسير وصل إليَّ من شخص أو جهة لا أنسى ذلك - إن كانت لي مروءة - فكيف بالمحسن الذي ما يكون من إحسان إلا من خزائنه؟ كيف بالجواد الذي ما يكون من جود إلا من فيض فضله؟!؟

كيف لا تتعلق النفس السَّوِيَّةُ بخالقها والمحسن إليها؟

أليس هذا من أعجب العجب أن لا ينسى بعضهم إحساناً من مخلوقٍ مثله مرزوقٍ من خالقه الرزاق الكريم؛ ولربما خالطَ هذا الإحسان شَوْبٌ من مَنَّةٍ مؤذية معكِّرة، ثم يشرّد هذا اللئيم عن ربه متنكراً له، جاحداً لأنعمه؟!!

ألم يعبر ربنا الحليم الكريم أصدق تعبير عن هذا الخُلُقِ السوء، المرذول المقبوح بقوله: (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ؟)

نعم ! ما أكفر ابن آدم !

بل إنه كَفَّار كفور وكنود وجحود !

بل ربما ضَمَّ إلى هذا رذائل، فكان حقوداً حسوداً!!

أعطاك مَنْ براك، وأعطى غيرك في مملكته ومن خزائنه، فعلام تحسده يا جهول؟! لماذا تحقد عليه يا لكع!!!؟

أَتَرُونَ هذا العابد الذي دُخِلَ عليه وكلُّ عرق فيه يُعَدَّب، آلام بعضها فوق بعض، كتلةٌ ضعف وأسَى، لا يقوى على شيء؛ أترونه وقد انطوى قلبه على هذا الحب الكبير، وعُمِرَ بهذا التقدير للكبير جلَّ جلاله، مُحِقاً أم لا!!!؟

مجنون مَنْ يلتجئ بسواك !

وأَجْنُ منه من ظَنَّ أن إدمان قرع الأبواب دون بابه أمرٌ ينجح أو يفتح؟!!

وإن من أشد ما يأسى له المرء أننا نعرف، وبعد أن نعرف ننعرف فلا نسلك الجادة الموصلة بل

نتنكب يمناً ويسرة فنضِلُّ ونُضِلُّ!!!؟

وصدق من قال :

فعندك يا كريم دواء دائي

فيرحمُ عبْرتي ويرى بكائي

ومَنْ بنظرة فيها شفائي

لمثلك فاقتصرتُ على الثناء¹

أتيتك سائلاً فارحم عَنائي

فلا أحداً سواك إليه أشكو

فيا مولى الورى جُد لي بعفو

رأيت كثيرَ ما أُهدي قليلاً

¹ طهارة القلوب والخضوع لعلام الفيوب للعارف سيدي عبد العزيز الديري ص 185

